

الباب السابع

ملوك الطوائف

الفصل الأول

انتَهَز حكام الأقاليم بالأندلس فرصة الهياج والثورة في قرطبة وأعلنوا استقلالهم وتعمد انفصالهم عن جسم الخلافة الأموية ، وأقاموا لأنفسهم إمارات مستقلة ، وأصبحوا ملوكا مستقلين فيها ، كل له عرشه وبلاطه وجنده وشعراؤه ، وبذلك تمزق ملك العرب باندلس ، وانقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة تسودها الفتن والمشاجبات الداخلية ، وتغلى مراجلها مما تحويه من تحاسد وتنافس بين الكبراء من أهلها ، وما تضرره من من عداوة لبعضها البعض ، فكان من نتائج ذلك أن اضمحلت القوة الإسلامية ، وسارت إلى الانحلال ، وانتَهَز أمراء الأسمان النصراني هذه الفوضى السياسية والضعف العسكري فشمروا عن ساعد الجدد ، ونهضوا لاسترداد ملكهم الضائع ، وشجعوا الفتنة والانقسام ، وجالفا الضعيف ضد القوى حتى أضعفوا القوى ثم هاجموا الاثنين وانتزعوا منهما الأملاك ، واسترجعوا المدن الواحدة تلو الأخرى .

عرف هؤلاء الولاة والحكام بملوك الطوائف ، واشتهروا جميعا بحبهم للعلم ، وتشجيعهم للأدب والثقافة العامة ، وقد تنافسوا في إحياء العلوم تنافسا عظيما . فتقدمت العلوم في عهدهم تقدما كبيرا ، واينعت الفنون ، وازدهرت المدن بآيات

الفن ، وغصت المكاتب بمختلف الكتب القيعة فكان لانفراط ملك بنى أمية في الأندلس أثره الحميد في تاريخ النهضة العلمية فيها ، ولو تضافر هؤلاء الملوك الأمراء واتحدت كلمتهم سياسيا كما اتحدت من الوجهة الفكرية لاستطاعوا رد غارات النصارى ، وحفظوا للإسلام ملكة في تلك الأصقاع ، ولكنهم للأسف تفرقوا شيئا وأحزابا كما قدمنا ، وتطاحت قواتهم ضد بعضها البعض ، ولجأ الكل الى نصارى الشمال يستعينهم على بنى قومه ، ولا يجد غضاضة في الدخول في ذمارهم وحمائهم ليستنصر بهم في الكيد لجاره ، هذا وقد اشتهر من هذه الامارات ما يأتى :

أولا — أمارات الصقالبة بالجهات الشرقية وقام بالأمر فيها خيران العامرى ثم زهير فى المرية ، أما الجزر التى كانت تتبع الأندلس فى البحر الأبيض المتوسط فقد استولى عليها مجاهد بن عبدالله العامرى أحد موالى الحاجب المنصور ، وكان يسمى أبا الجيوش لامتيازه بالشجاعة الحربية والاقدام النادر ، وكان بارعا فى الملاحة ، واستطاع تكوين أسطول عظيم أغار به على شواطئ فرنسا وإيطاليا ، وسيطر على البحار ، وأدخل الرعب فى قلوب المسيحيين وقطع الطرق على تجارهم وملاحيمهم حتى أطلق عليه دوزى « شيخ قرصان البحار فى عصره » ، وقد اشتهر بنصرته للعلم والعلماء ، وامتلكت فريق آخر من هؤلاء الصقالبة بلنسية وماجاورها من الاقاليم وظلوا بها حتى استخلصها منهم عبد العزيز بن سانكول عبد الرحمن ابن الحاجب المنصور

ثانياً — استولى بنو حمود على مالقة والجزيرة الخضراء وماجاورها من القرى والبلدان ، واتخذوا لأنفسهم لقب أمير المؤمنين وقد ظلوا سادة تلك الجهات

حتى أدركهم الضعف بسبب تنازعهم الأمر فيما بينهم فأغار ملك غرناطة على أملاكم وانتزعها منهم عام ١٠٥٧ م

ثالثا — غرناطة وقد استولى عليها أمير من أمراء البربر يسمى زاوي وقد خلفه في الحكم ابن أخيه المسمى جبوس ، وقد ظلت هذه الاسرة تحكم البلاد حتى أخذها بنو الأحمر في سنة ١٠٩٠ م مما سنفصله في مكان آخر رابعا — حكم الأمير يعيش طليطلة وظل يحكمها حتى عام ١٠٣٦ م حين استولى عليها ابن ذى النون من أمراء البربر المشهورين ، وقد اشتهرت أسرة ذى النون بكرمها وجزيل عطاياها ، وقد استمر حكمها في تلك الجهات حتى تغلب عليها النصارى في عهد الفونس السادس ملك ليون وقشتالة عام ١٠٨٥ م بعد حروب دموية طاحنة

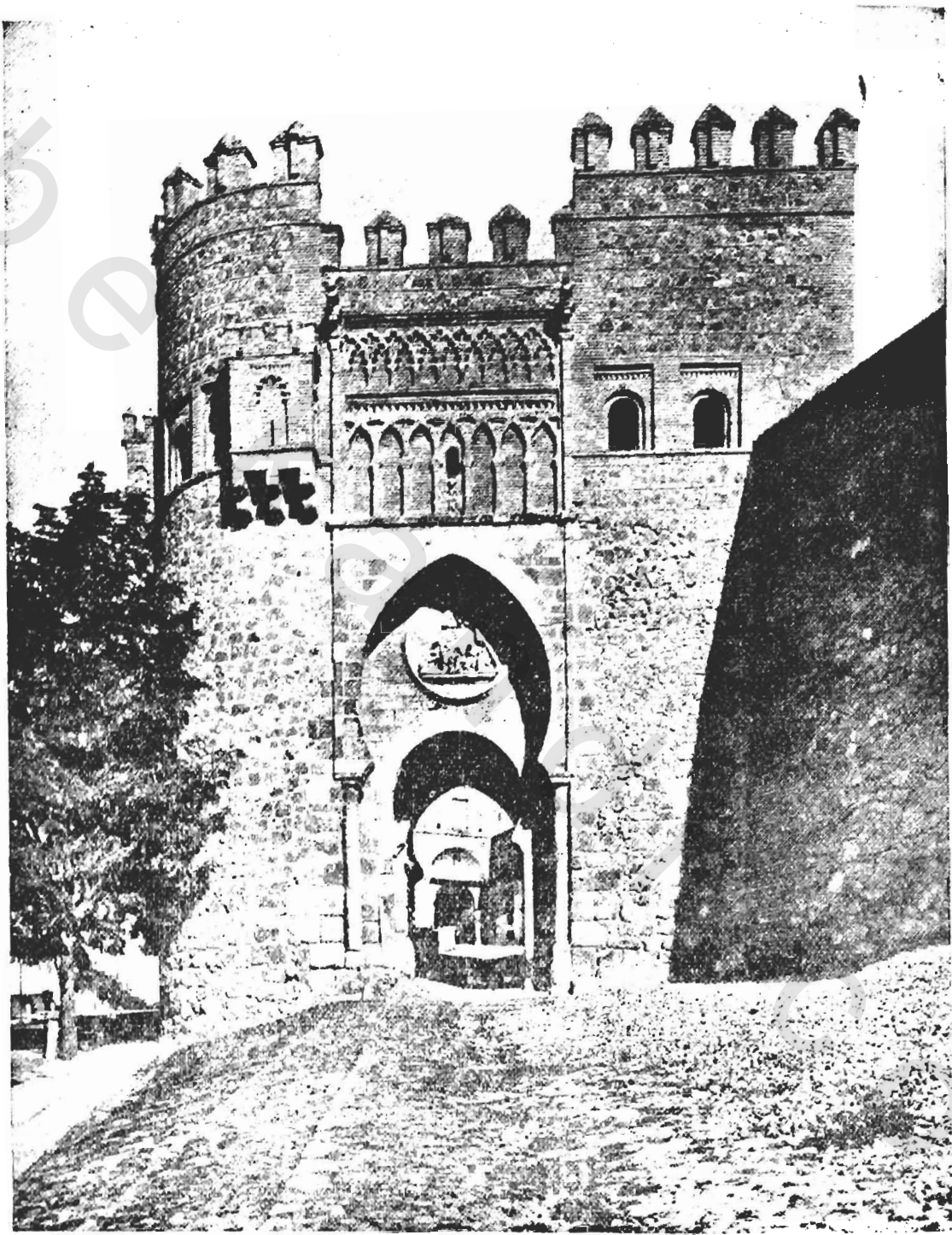
خامسا — سرقسطة وما حولها وقد استولى عليها بنو هود ورجع نسبهم إلى أحد قواد عبد الرحمن الناصر المسمى محمد بن هشام التميمي ، وقد ظل بنو هود يحكمون تلك الجهات ويردون غارات النصارى ، ويكافحون في سبيل المحافظة على استقلالهم وبقاء كياناتهم حتى غلبوا على أمرهم وزال ملكهم على يد النصارى عام ١١١٨ م .

سادسا — استولى حكام محليون على باقي المدن في الاندلس العربية ، وأعلنوا استقلالهم ، وظلوا يتطاحنون ويكافحون النصارى في حروب دموية دامت نحو قرنين من الزمن ، وأخيرا غلبوا على أمرهم ، وسلبوا مدنها الواحدة بعد الأخرى لحكام ليون وقشتالة من النصارى ، واليك بعض البيان عما حدث في قرطبة وأشبيلية وغرب الاندلس .

الفونس السادس وملوك الطوائف :

لم يكن الفونسوا يضيع وقته سدى في سفاسف الامور اثناء ذلك ، بل عمل على ضم الاقطار المسيحية تحت حكمه ، حتى اصبح امبراطورا على ليون وقشتالة وجليقية ونافارا ، وحانت ساعة فتحه بقية شبه الجزيرة كلها ، على أنه لم يتعجل الحوادث ، وأخذ يعتصر أموال المسلمين ، ويستنزف ثروتهم على مهل بما فرضه من جزية عليهم ، وأخيرا أتم عدته ، فشرع في فتوحاته وأعلن على المسلمين حربا صليبية لا تعرف صاحبا ولا هواة ، فغزا طليطلة عام ١٠٨٠ م لأن أهلها طردوا أميرهم ، فلجأ إلى الفونس ووعدده بدفع جزية كبيرة ، وتسليم حصون معينة نظير إعادته إلى عرش الامارة ، واستمرت الحرب عامين ، وفي أثنائهما أرسل الفونس رسلا إلى أشبيلية يطلب الجزية ، فحملها الوزير أبو بكر بن زيدون إلى شليب اليهودى أحد رسل الفونس ، فوجد هذا أن النقود مزيقة لعجز المعتمد عن جمع المبلغ المطلوب ، ولذا رفض قبولها ، وقال إنى أطلب ذهباً خالصاً هذه السنة ، وفي السنة القادمة أطلب اليكم تسليم المدن ، فلما بلغ المعتمد قوله هذا غضب غضبا شديدا ، وأمر باحضار رسل الفونس ومن بينهم شليب ، ولما حضروا أمر بصلب شليب وسجن بقية الرسل ، ولما رأى اليهودى ما سيحل به ارتعدت فرائصه وطلب الرحمة ، وعرض أن يدفع ثقله ذهباً تكفيرا عن ذنبه ، فابى المعتمد وقالى والله لو اعطيتنى كل بلاد الأندلس وأفريقية ما قبلته

ولما علم الفونس بما حدث ثارت ثائرتة ، وحلف بالثالوث أنه لا بد منتقم من العدو انتقاما مريعا ، ومكتسح ديار المسلمين حتى جبل طارق ، واضطر أن يسلم حصنا من الحصون للمعتمد نظير اطلاق سراح بقية الرسل ، ولما تم له ذلك سار لفوره إلى أشبيلية وحاصرها ، وخرب ودمر شيدونه ، وقتل كل



أحد أبواب مدينة طابطة

obeykandi.com

مسلم قابله وأسر من لم يقتل وواصل سيره حتى وصل إلى جبل طارق وبرب قسمه الذي أقسمه ، ثم عاد إلى طليطلة سنة ١٠٨٢ م ، وابتز من أميرها أموالا طائلة حتى أتى على آخر درهم عنده ، وانزع منه حصونا كثيرة ، وخرب ضواحي طليطلة ثم دخلها بعد أن سلمها أميرها عجزا منه عن الدفاع عنها عام ١٠٨٥ م ، وبدخولها ازداد الفونس صلفا وطفيانا على المسلمين استضعافا لشأنهم واستهتارا بهم وبلغت المذلة بأمراء المسلمين أن أسرعوا جميعا لهنتته بدخول أمنع مدنهم وأخذ الكل يتلف له بارسال الهدايا والاعتراف بأنهم مأمون إلا جياة له ، فاصبح الفونس يلقب نفسه بملك المسيحيين والمسلمين

وأتى دور بلنسية فاستولى عليها الفونس ، وحاصر سرقسطة وغزا المرية وغرناطة ، فعم اليأس ديار الاسلام ، وحل الرعب في قلوب المسلمين ، وفي هذا الموقف الحرج والظرف العصيب رأى أمراء الاندلس أن يستنجدوا بالمرابطين الذين كانوا قد أقاموا دولة قوية في بلاد البربر بافريقية فوافدوا إلى يوسف بن تاشفين أمير المسلمين وفدا من قضاة قرطبة وبطليوس وغرناطة ومعهم الوزير أبو بكر بن زيدون يدعونه لانقاذ بلاد المسلمين من خطر المسيحيين